الطائرة الخفية

محمود سالم

الطائرة الخفية

تأليف
محمود سالم

هنـــداوي

الطائرة الخفية

محمود سالم

الناشر مؤسسة هنداوي
المشهرة برقم ١٠٥٨٥٩٧٠ بتاريخ ٢٦ / ١ / ٢٠١٧

يورك هاوس، شييت ستريت، وندسور، SL4 1DD، المملكة المتحدة
تليفون: ٨٣٢٥٢٢ ١٧٥٣ (٠) ٤٤ +
البريد الإلكتروني: hindawi@hindawi.org
الموقع الإلكتروني: https://www.hindawi.org

إنَّ مؤسسة هنداوي غير مسئولة عن آراء المؤلف وأفكاره، وإنما يعبِّر الكتاب عن آراء مؤلفه.

تصميم الغلاف: وجدان توفيق

الترقيم الدولي: ٨ ٢٦٩٥ ٥٢٧٣ ١ ٩٧٨

صدر هذا الكتاب عام ١٩٨٦.
صدرت هذه النسخة عن مؤسسة هنداوي عام ٢٠٢٢.

جميع حقوق النشر الخاصة بتصميم هذا الكتاب وتصميم الغلاف محفوظة لمؤسسة هنداوي.
جميع حقوق النشر الخاصة بنص العمل الأصلي محفوظة لأسرة السيد الأستاذ محمود سالم.

المحتويات

من هم الشياطين الـ «١٣»؟	٧
أبطال هذه القصة	٩
ترانز أوشن!	١١
البطة الزرقاء!	١٥
قصر الأسرار!	١٩
مطاردة في الظهيرة!	٢٣
المفاجأة!	٢٧
الهجوم!	٣١
الفيلم!	٣٥
الجحيم!	٣٩

من هم الشياطين الـ«١٣»؟

إنهم ١٣ فتًى وفتاةً في مثل عمرك، كلٌّ منهم يُمثِّل بلدًا عربيًّا. إنهم يقفون في وجه المؤامرات الموجَّهة إلى الوطن العربي ... تمرَّنوا في منطقة الكهف السِّري التي لا يعرفها أحد ... أجادوا فنون القتال ... استخدام المسدسات ... الخناجر ... الكاراتيه ... وهم جميعًا يُجيدون عدة لغات.

وفي كل مغامرةٍ يشترك خمسة أو ستة من الشياطين معًا ... تحت قيادة زعيمهم الغامض رقم «صفر» الذي لم يرَه أحد، ولا يعرف حقيقته أحد.

وأحداث مغامراتهم تدور في كل البلاد العربية ... وستجد نفسك معهم مهما كان بلدك في الوطن العربي الكبير.

أبطال هذه القصة

رقم «١»: «أحمد» من مصر.

رقم «٢»: «عثمان» من السودان.

رقم «٣»: «إلهام» من لبنان.

رقم «٤»: «هدى» من المغرب.

رقم «٥»: «بو عمير» من الجزائر.

رقم «٦»: «مصباح» من ليبيا.

رقم «٧»: «زبيدة» من تونس.

رقم «٨»: «فهد» من سوريا.

رقم «٩»: «خالد» من الكويت.

رقم «١٠»: «ريما» من الأردن.

رقم «١١»: «قيس» من السعودية.

رقم «١٢»: «باسم» من فلسطين.

رقم «١٣»: «رشيد» من العراق.

رقم «صفر»: الزعيم الغامض الذي لا يعرف حقيقته أحد!

ترانز أوشن!

أُضيئت الأنوارُ الحمراء كلُّها مرة واحدة في غُرَف الشياطين الـ «١٣» في موعد النوم تمامًا ... وكان ذلك شيئًا مدهشًا ومثيرًا للتساؤل ... ولكنهم جميعًا وحسب تعليمات محددة يعرفونها جيدًا قفزوا إلى ملابسهم ... ثم قفزوا إلى الدهاليز المؤدية إلى قاعة الاجتماعات الكبرى ... وزاد من دهشتهم أن وجدوا رقم «صفر» قد سبقهم إلى قاعة الاجتماعات ... وبمجرد أن جلسوا قال رقم «صفر» على الفور: إنني أريدكم أن تستعدوا للسفر في خلال ساعة من الآن!

وصمتَ قليلًا ثم قال: إن حادثًا خطيرًا قد وقع جعل المقرَّ السريَّ هدفًا واضحًا لمنظمة مجهولة تريد القضاء علينا ... لقد رصدَت أجهزةُ الإنذار المبكر في المقرِّ السريِّ مرورَ طائرة على ارتفاع كبير فوق المقرِّ ... وكما تعرفون أن الطائرات التجارية، أو طائرات الركَّاب تسير في مسارات محددة في السماء، تمامًا كمسارات وطُرُق السيارات على الأرض ... وهي مسارات متفق عليها عالميًّا حتى لا تصطدمَ الطائراتُ في الجو، وهو ما يحدث نادرًا.

وفي نفس الوقت تكون الطائرة قريبة من عدد من المطارات في حالة اضطرارها للهبوط. وقد اخترنا هذا المقرَّ بعيدًا عن جميع المسارات حتى لا يعرفَ أحدٌ مكانه ... ولكن هذه الطائرة جاءت مرة في الصباح، ووضعنا تقديرًا أنها ربما ضلَّت الطريق ... ولكنها عادَت منذ دقائق، وفي الأغلب أنها جاءت أولًا للاستكشاف، ثم جاءت مرة أخرى للتصوير ... والتصوير الليلي كما تعرفون، يتم بالأشعة تحت الحمراء، ولا يقل دقةً عن التصوير النهاري ...

وصمت رقم «صفر» وتنهَّد وهو يقول: معنى ذلك أن هناك فيلمًا قد التُقِط للمَقرِّ ... وأن هذه الطائرةَ تَحْمله الآن إلى منطقة معادية قد تُهاجمنا في أيِّ وقت ... لقد اتصلنا بجميع عملائنا في مختلف بلاد العالم لمحاولة معرفةِ ما خلف هذه الطائرة من أسرار، ولعل

أحدَهم يُوفَّق إلى معرفة مكان هبوطها ... ولكن في العالم آلاف المطارات، ومن الصعب جدًّا العثور على هذه الطائرة ... ولكن مما يضيِّق نطاق البحث قليلًا أن المنظمات الإجرامية التي تملك طائرة من هذا النوع قليلة ... ومما يساعدنا أيضًا أنها طائرة صغيرة، ومثل هذا النوع من الطائرات لا يطير أكثر من ثلاث ساعات متصلة؛ لأن الوقود يكفيها خمس ساعات فقط ... ولا بد من الإبقاء على وقود يكفي للطيران ساعتين لأيِّ ظرف اضطراري ... وقد طلبتُ من عملائنا في منظمة البحر المتوسط أن يركِّزوا على مطارات «قبرص»، و«أثينا»، و«بيروت»، و«صقلية»، و«مالطة»، وهي جميعًا مطارات تَصِل إليها الطائرة في خلال ساعتين إلى ثلاث ساعات.

قالت «إلهام»: ولماذا لا يبحثون في مطارات عربية قريبة؛ مثل: «القاهرة»، و«بنغازي»، و«تونس»، وغيرها؟

رقم «صفر»: لا أظن أنهم يغامرون بالنزول في مطار عربي؛ لأنهم يعرفون أننا عرب ... ثم إن الطائرات الخاصة التي تهبط في المطارات العربية قليلة ويمكن رصدها بسهولة ...

أحمد: ألم تَقُم أجهزة التصوير بتصوير الطائرة؟

ردَّ رقم «صفر»: هذا سؤال هام ... لقد قمنا بتصويرها فعلًا، ولكن الصور على هذا البعد لطائرة متحركة لا تأتي بالوضوح الكافي ... ولكن خبراء التصوير عندنا يقومون بتكبير الصور عشرات المرات حتى يمكن تحديد نوع الطائرة أو أية علامات تكون عليها، فهذا سيساعدنا كثيرًا؛ لهذا طلبت منكم الاستعداد للسفر خلال ساعة ... لأن خبراء التصوير سيقدمون ملفًّا بالصور والمعلومات خلال ساعة.

أحمد: إننا سنُقسَّم إلى مجموعات صغيرة حتى يمكن تغطية المنطقة.

رقم «صفر»: طبعًا ... فليكن كلٌّ ثلاثة معًا.

أحمد: سنقوم بالتقسيم بعد انتهاء الاجتماع، ونستعد للسفر بمجرد وصول الصور.

رقم «صفر»: ربما تأتي معلومات من عملائنا لتحديد المكان الذي نزلت فيه الطائرة.

أحمد: من الأفضل أن نسافر ... على أن يتولَّى المقرُّ السريُّ إخطارَنا بما يُستجد من معلومات.

رقم «صفر»: على بركة الله.

خرج رقم «صفر» بخطواته الثقيلة المعهودة ... وعقَد الشياطين اجتماعًا لتوزيع المهام ... وتم الاتفاق على سفر مجموعة الفتيات «إلهام»، و«هدى»، و«زبيدة»، و«ريما» إلى «أثينا»، ويسافر «أحمد»، و«عثمان»، و«رشيد» معًا ... ويسافر «بو عمير»، و«مصباح»، و«خالد» معًا، ويسافر «قيس»، و«باسم»، و«فهد» معًا ...

اختار «أحمد» جزيرة «صقلية»، موطن عصابات «المافيا»، للذهاب مع «عثمان» و«رشيد»، لقد رجَّح أن تنزل الطائرة هناك؛ حيث يمكن إخفاؤها عن العيون ... على أن تسافر مجموعة «بو عمير» إلى «قبرص»، ومجموعة «قيس» إلى «مالطة».

وأسرع الشياطين لإعداد ملابسهم للسفر ... وأصبح المقرُّ السريُّ كخلية النحل ... وبعد ساعة كان كلُّ واحد من الشياطين يجري في اتجاه صالة العرض الملحقة بقسم التصوير ... وجلسوا في الصالة الصغيرة، ثم عمَّ الظلام بعد إطفاء الأنوار ... وظهرت على شاشة العرض صورةٌ لشيء يُشبه الذبابة ... أخذ يكبر تدريجيًّا حتى أخذ صورة طائرة ... ولكن صورة مشوهة كأنها صُنعت من خيوط العنكبوت ... وأخذ رئيس المصورين يشرح:

هذه هي صورة الطائرة التي مرَّت ليلًا على المقرِّ السريِّ ... ونعتقد أنها قامت بتصويره ... إن هذا الهيكل يؤكِّد أنها طائرة مائية ... ونرجِّح أنها من طراز «هنكل» أو «كرافيل»؛ فهما يتشابهان في خطوط كثيرة ... وعلى جانب الطائرة كما ترَون دائرة يخترقها سهمٌ ... وهي علامة الطائرة ... وقد بحثنا في السجلات لنعرف إلى أيِّ شركة تنتمي ... لأن هذه الشارات تُسجَّل دوليًّا ... وقد وجدنا أنها علامة لشركة نقل تسمَّى «ترانزأوشن» مسجلة في «لكسمبورج»، وهذه هي كل المعلومات التي حصلنا عليها.

وصمت كبير المصورين ثم قال: هل من أسئلة؟

عثمان: مثل هذه الطائرات على ما أعتقد ليست مؤهلة للتصوير الليلي ... فهذا فقط في الطائرات الحربية.

المصور: هذا صحيح ... وهي نقطة يَرِد عليها كبيرُ المهندسين.

تحدَّث رئيس المهندسين قائلًا: إن تركيب أجهزة التصوير على الطائرة ليس مهمة صعبة.

عثمان: وما مدى طيران هذا النوع من الطائرات؟

كبير المهندسين: ثلاث ساعات طيران ... وساعتان للاحتياط.

وصمت الجميع؛ فلم يكن هناك أسئلة أخرى، ولكن «أحمد» طلب من كبير المصورين تزويدَ كلِّ مجموعة من الشياطين بصورة للطائرة ...

وانفضَّ الاجتماع ... وبعد دقائق كانت أربع سيارات من طراز «مرسيدس» (٤٨٠س)، تحمل الشياطين إلى أقرب مطار من المقر السري، استعدادًا للرحلة المجهولة للبحث عن الطائرة ... وكان لديهم تعليمات من رقم «صفر» بعدم الحديث عن الموضوع حتى مع عملائه.

البطة الزرقاء!

عندما هبطت الطائرة التي تُقِلُّ «أحمد»، و«عثمان»، و«رشيد» في مطار «باليرمو» عاصمة «صقلية» كان الجو عاصفًا ومطيرًا، وكان الهبوط خشنًا وارتجَّت الطائرة، وكادت تنزلق، ولكن وقفت في النهاية بسلام في نهاية الممر ...

نزل الشياطين الثلاثة من الطائرة، وهم يتوقعون مقابلةَ «ماشيتو» عميل رقم «صفر» في المطار ... ولكنهم مروا بجميع الإجراءات حتى وصلوا إلى الشارع دون أن يتقدَّم منهم أحد ... ولكنهم عندما وصلوا إلى موقف السيارات توقَّفت بجوارهم سيارة ونظر السائق إليهم وقال: إذا كان معكم البطة الزرقاء فإنني سأدفع فيها ثمنًا طيبًا.

وكانت البطة الزرقاء هي كلمة السر، وردَّ «رشيد»: إن البط الأزرق نادر هذه الأيام.

قال السائق: اركبوا وسنبحث عن مزيد من البط.

وقفز الثلاثة إلى السيارة، وقال الرجل: محسوبكم «ماشيتو»، وعندي تعليمات أن أكون في خدمتكم.

أحمد: إن ما نريده هو المعلومات.

ماشيتو: إنني رهنُ إشارتكم.

أحمد: هل يمكن زيارة شركة «ترانزأوشن»؟

اهتزت عجلة القيادة في يد «ماشيتو» لحظةً كأنه سمع اسم الشيطان، ولكنه تمالك أعصابه، وقال: ولماذا «ترانزأوشن»؟

كاد «عثمان» يردُّ، ولكن «أحمد» أمسكه من ذراعه ... وقال: هل استأجرت لنا مكانًا للإقامة؟

ماشيتو: نعم ... حسب التعليمات يجب أن يكون مكانًا معزولًا ويمكن الدفاع عنه.

أحمد: شيء غريب هذا المطر ... فنحن تعلَّمنا أن الأمطار نادرة في «صقلية»!

ماشيتو: حقيقةً هذا شيء مدهش، وسوف يسعد الناس كثيرًا بهذا المطر؛ فمشكلة نقص المياه مشكلة خطيرة في بلاد تعتمد على الزراعة.

أحمد: وعلى صناعة السفن.

ماشيتو: إن معلوماتك عن بلادنا لا بأس بها.

أحمد: وتصنيع الغذاء، خاصة السمك و«التونة»، وهما الطعام الأكثر انتشارًا هنا.

ماشيتو: إنك مدهش جدًّا يا عزيزي الشاب.

وساد الصمت لحظات ثم عاد «ماشيتو» للحديث، وسأل: لقد كنت تسألني عن شركة «ترانزأوشن»؟

أحمد: إنني ما زلت أسأل؟

ماشيتو: نادرًا ما يسألني أحد عن هذه الشركة؟

أحمد: ها نحن قد سألنا عنها.

ماشيتو: عظيم ... ولكن لماذا؟

أحمد: إننا نريد استئجار طائرة نقل، عندما تكون عندنا بضاعة نريد نقلها.

ماشيتو: هناك شركات أخرى كثيرة ... اتركوا لي البضاعة وسوف أتولَّى نقلها.

أحمد: لقد أوصى صديقٌ لنا بهذه الشركة ... وكل ما نطلبه منك أن تدلنا عليها.

ماشيتو: إن عددًا قليلًا جدًّا من الناس مَن يعرف هذه الشركة «ترانزأوشن» ... فهي شركة صغيرة جدًّا ... ولا أهمية لها.

أحمد: دَعْنا من حجمها ... نريد أن نعرف أين مقرُّها.

ضحك «ماشيتو» وقال: هل البضاعة من نوع خاص؟

أحمد: ماذا تقصد؟

ماشيتو: من النوع الذي لا يمرُّ من الجمارك؟

أحمد: ربما.

ساد الصمت السيارة، وهي تقطع طريقها بصعوبة وسط الأمطار الغزيرة، حتى أشرفت على خليج صغير تحت تلٍّ مرتفع ... وأشار «ماشيتو» إلى الخليج الصغير قائلًا: هذا أجمل مكان على الشاطئ.

أحمد: نشكرك كثيرًا ... متى نحصل على المعلومات ... وعلى الأسلحة؟

ماشيتو: ليس هناك مشكلة في الأسلحة؛ ففي عاصمة «المافيا» أرخص شيء هو السلاح.

أحمد: والمعلومات؟

ماشيتو: أيُّ نوع من المعلومات؟

أحمد: كلُّ المعلومات ... ما هو نشاط الشركة، وما هي سُمْعتها؟ مَن الذي يعمل فيها ... مقرُّها.

ماشيتو: سأتجول غدًا للبحث عن هذه المعلومات، وسوف أتصل بك في المساء.

أحمد: هل يوجد في الفيلا سيارات؟

ماشيتو: نعم ... هناك سيارة جيدة من طراز «لامبورجيني».

توقَّفت السيارة عند باب فيلَّا صغيرة، مبنية بالحجر الأبيض، وأسرع الشياطين الثلاثة يغادرون السيارة، وقال «أحمد»: اتصل بنا بأسرع ما يمكنك.

وأدار «ماشيتو» السيارة عائدًا وهو يلوِّح بيده قائلًا: نعم ... بأسرع ما يمكن.

أسرع «أحمد» إلى خارج الفيلَّا، وأدار السيارة ثم قال: تعالَ معي يا «عثمان» ... أما «رشيد» فعليك بالانتظار هنا.

رشيد: ماذا حدث؟

أحمد: ستعرف فيما بعد.

قفز «عثمان» بجوار «أحمد» الذي أدار السيارة وأسرع بها عائدًا ... كانت أنوار سيارة «ماشيتو» واضحة في الليل وفي الطرق العالية فوق التلال، وأخذ «أحمد» يتبعها دون أن يضيء سوى الأنوار الصغيرة حتى لا يراه «ماشيتو».

قال «عثمان»: ما هي الحكاية؟

لم ينطق «أحمد» بحرف، وأشار لـ «عثمان» أن يسكت، ثم قام بتفتيش تابلوه السيارة بأصابع مدرَّبة، وأشار لـ «عثمان» أن يفتِّش الباب بجواره، وعثر «عثمان» على سلك رفيع في جيب الباب ...

أخذ «عثمان» يحدِّث «أحمد» بالإشارات دون أن يتحدث ... كطلب «أحمد»، وفهم «أحمد» من إشارات «عثمان» بوجود السلك، فمالَ عليه وهمس في أذنه: إن السيارة بها جهاز تسجيل يقوم بتسجيل جميع ما نقوله.

همس «عثمان» في أُذُنِ «أحمد»: ولكن لماذا؟

عاد «أحمد» يهمس في أُذُنِ «عثمان»: هناك احتمالان لا ثالث لهما ... هذا الرجل إما أنه ليس «ماشيتو» عميل رقم «صفر» ... أو أنه «ماشيتو» ولكنه يخوننا!

ثم رفع «أحمد» صوتَه قائلًا: إن «ماشيتو» رجل طيب ... إنه سوف يخدمنا حقًّا.

وتحدث «عثمان» بصوت مرتفع أيضًا: المهم أن تَصِل البضاعة إلى العميل، وإلَّا ساءت سمعتُنا.

أحمد: إنهم في هذه الشركة لا يُدقِّقون كثيرًا في نوع البضاعة وأتوقَّع أن نعقد معهم صفقة طيبة.

كانت سيارة «ماشيتو» ما زالت منطلقة بين التلال والمرتفعات، ثم أخذت تدخل المدينة، وأخذ «أحمد» يقترب بحذر، ولكن «ماشيتو» اتخذ طريقًا دائريًّا حول «باليريمو»، وعاد يأخذ طريق الساحل مرة أخرى.

قصر الأسرار!

وصل «ماشيتو» إلى سور مرتفع، ووقف أمام باب في هذا السور، وأضاء أنوار سيارته ثلاث مرات متقطعة، وفي لحظات انفتح الباب ومرقت السيارة ...

أوقف «أحمد» السيارة «اللامبورجيني» السريعة خلف أشجار الزيتون المنتشرة بكثرة على التلال، ثم أشار لـ «عثمان» أن يتبعه ...

سار «أحمد» وبجواره «عثمان» حتى وصلَا السور، وأخرج «أحمد» من جيبه مُفكًّا صغيرًا وضعه على السور ثم همس: «السور مكهرب».

أخذ «أحمد» و«عثمان» يطوفان بالسور حتى وجدَا شجرة عالية صَعِداها معًا، ثم اختارَا غصنًا قريبًا من السور، وتسلَّقه «أحمد» ثم هزَّه قليلًا ليتأكد من متانته، ثم وقف عليه ممسكًا بالأغصان الأخرى، ثم هزَّ نفسه صاعدًا هابطًا، وقذف بنفسه من فوق السور فسقط في الجانب الآخر منه ... وتبعه «عثمان» على الفور ...

كان الظلام كثيفًا في الحديقة الواسعة التي كانت أشبهَ بالغابة ... وكانت ثمة أضواء خافتة تبدو من بعيد في الظلام، كأنها أضواء فراشات فوق الأغصان ...

واتجه «أحمد» و«عثمان» إلى هذه الأنوار البعيدة، وشيئًا فشيئًا شاهدَا بناءً ضخمًا، ويبدو أنه أحدُ القصور القديمة المنتشرة في «باليرمو» ... وسمعَا من بعيد أصواتَ كلاب وحشية تنبح بشدة ...

قال «أحمد»: الكلاب ... هذه هي المشكلة.

عثمان: لقد أحضرت معي الكبسولات المنومة ... ولكنها ليست معي الآن.

أحمد: لست في حاجة إليها الآن ... سنحاول جمْعَ أكبرِ كمية من المعلومات عن المكان ثم نعود ... فليست معنا أسلحة أيضًا.

اقترب «أحمد» و«عثمان» قدر الاستطاعة من القصر ... وشاهدَا بجوار القصر ما يُشبه منارة تُطلق ضوءَها على مياه البحر كل دقيقة ... وعلى ضوء المنارة شاهدَا القصر بقدر أكبر من الوضوح، وشاهدَا عددًا من السيارات واقفة في ساحة القصر ...

كانت الريح تهبُّ من ناحية القصر في اتجاههما، فقال «عثمان»: لحسن الحظ أن الرياح لا تهبُّ من ناحيتنا وإلَّا شمَّت الكلاب رائحتنا.

أحمد: هذا ما دفعني إلى الاقتراب.

وظل «أحمد» و«عثمان» يسيران بين الأشجار المتكاثفة دون أن يحدث شيء ... وفجأة في الظلام، بدَا شيء يلمع من بعيد وينطفئ ... شيء في القصر يبدو من خلف النوافذ والستائر.

عثمان: ما هذا؟

أحمد: أظنها تجارب تتم في معمل كيميائي.

عثمان: إنه قصر الأسرار.

أحمد: في عاصمة المافيا هناك آلاف الأسرار.

واقتربَا أكثر، ولكنهما في هذه المرة سمعَا نباحَ كلب ... وأسرع «أحمد» و«عثمان» بالعودة ... لم تكن الفرصة ملائمة للاصطدام خاصة وأنهما يريدان معرفة ماذا سيفعل «ماشيتو» بالداخل.

عاد «أحمد» و«عثمان» إلى السور، وقفزَا بواسطة الغصن، وقبعَا في الظلام حتى خرجت سيارة «ماشيتو» مرة أخرى. وانتظر «أحمد» حتى ابتعدت السيارة، ثم أطلق لسيارته «اللامبورجيني» العنانَ، وسرعان ما كانَا في قلب المدينة مرة أخرى ... وعادت الأضواء تلمع، وشاهدَا سيارة «ماشيتو» تدخل أحدَ الشوارع الضيقة وتختفي فيها ... ولكنهما فضَّلَا العودة.

لم يتحدَّثَا في السيارة بعض الوقت ثم قال «أحمد» بصوت مرتفع: رحلة ممتعة على شاطئ البحر في هذا الصباح.

أدرك «عثمان» أن «أحمد» يريد التمويهَ على مَن سيسمع الشريط، فقال: انظر إلى لون البحر؟

ردَّ «أحمد»: إنه بلون الزمُرُّد.

عثمان: إذا وفقنا في عقد هذه الصفقة، فسوف نقضي إجازة طويلة في الجزيرة.

أحمد: طبعًا، المهم أن تَصِلنا البضاعة في موعدها، ثم نُوفَّق في استئجار الطائرة.

عثمان: لماذا شركة «ترانزأوشن» ... لماذا لا نتعامل مع شركة أخرى؟

أحمد: لأن شركة «ترانزأوشن» تعمل في مثل هذه الصفقات، دون أن تسأل عن نوع البضاعة.

عثمان: لا بد أنها تتقاضى أجرًا باهظًا.

أحمد: بالطبع.

كانَا قد اقتربَا من الفيلا الصغيرة، فكفَّا عن الحديث ... وأوقف «أحمد» السيارة في الجراج، ثم دخلَا حيث كان «رشيد» ما زال في الانتظار ...

أشار له «أحمد» بأصبعه ألَّا يتحدث، ثم قام الثلاثة بإشارة من «أحمد» بالبحث الدقيق، واستطاعَا الوصول إلى ميكروفون دقيق موضوع في النجفة التي تتوسط الصالة، وأشار إليهما «أحمد»؛ حيث خرجَا إلى شرفة الفيلا المطلَّة على البحر، وقال: إننا مراقبون بعناية ...

كل كلمة نقولها في المنزل أو السيارة ستُسجل ... فخذَا حذرَكما.

عادوا إلى الفيلا، وكانت الساعة قد أشرفت على الثالثة صباحًا ... تناولوا طعامًا خفيفًا ثم ناموا ...

في الصباح الباكر استيقظ «أحمد»، ووقف خلف الستائر ليرقبَ ما يحدث ... وكما توقَّع بالضبط، ظهرت سيارة «ماشيتو»، ونزل الرجل منها وتلفَّت حوله، ثم اتجه فورًا إلى الجراج ... كان «أحمد» متأكدًا أنه يستبدل شريط التسجيل في السيارة، ثم اتجه الرجل إلى الفيلا، فأسرع «أحمد» إلى غرفة نومه، وتظاهر بالنوم، واستطاع أن يسمع مفتاح الفيلا وهو يدور في القفل، ثم خطوات «ماشيتو» وهو يتجه إلى الصالة ليقوم بتغيير شريط التسجيل ... وعندما تمَّ له ما أراد، عاد إلى الخارج مرة أخرى، وسمع «أحمد» صوتَ جرس الباب وهو يدقُّ ... انتظر قليلًا ثم قام والتقى بـ «عثمان» و«رشيد»، وأشار لهما بما حدث، ثم اتجه إلى الباب ففتحه ... وظهر «ماشيتو» على الباب مبتسمًا وهو يقول: صباح الخير أيها الأصدقاء.

ردَّ «أحمد»: صباح الخير يا سنيور «ماشيتو» ... لقد حضرتَ مبكرًا.

ماشيتو: لقد حصلتُ على المعلومات اللازمة ورأيت أن أحضر مبكرًا.

أحمد: عن شركة «ترانزأوشن»؟

ماشيتو: نعم ... عندما تركتكم أمس ذهبتُ إلى بعض أصدقائي، فقالوا إنهم يعرفون الشركة، وإنها فعلًا شركة تقوم بخدمات خاصة، لا تقوم بها غيرها من الشركات.

أحمد: هذا ما توقعتُ أن تقوم به.

ماشيتو: إنها خدمة خاصة لأصدقائي.

أحمد: وأين هذه الشركة؟

ماشيتو: إن فرع الشركة يقع على خليج «تورفينا» في شمال الجزيرة ... ولكني اتفقت مع مندوب خاص من الشركة سيأتي لمقابلتكم عند منتصف النهار؛ حيث نتناول الغداء جميعًا في مطعم «دون كارلو»، وهو يقدِّم طعامًا شهيًّا.

أحمد: إنك تقوم بواجبك حقًّا يا سنيور ... وسوف نكافئك على هذا العمل.

مطاردة في الظهيرة!

في الساعة الواحدة ظهرًا، كان الشياطين الثلاثة يقفون بسيارتهم أمام مطعم «دون كارلو» في قلب المدينة ... وعندما بدءوا يغادرون السيارة إلى المطعم، ظهرت سيارة من شارع جانبي اجتازت الميدان بسرعة، ثم انطلق من نافذتها مدفعٌ رشاش في اتجاه رجل كان يركن سيارته بعد سيارة الشياطين بأقل من نصف متر ... فأصابت الطلقاتُ الرجلَ وتوقَّفت الحركةُ في الميدان.

لم يتردَّد «أحمد» فأطلق لسيارته العنان بعد أن طلب من رشيد أن ينزل لمقابلة مندوب شركة «ترانزأوشن».

اندفعت السيارة «اللامبورجيني» خلف سيارة القتَلة، وأخذت السيارات تركن جانبًا كلما شاهد السائقون سرعة السيارتين ... فقد كان هذا المشهد جزءًا من الحياة اليومية في مدينة «باليرمو»؛ حيث توجد قيادات عصابات المافيا القوية، التي لا يمرُّ يومٌ دون أن يكون لها ضحية أو أكثر ...

أخذت إطارات السيارتَين تصفِّر فوق أرض الشوارع، وهي تسير بسرعة تتصاعد تدريجيًّا حتى تجاوزت مائةً وعشرين كيلومترًا وسط الشوارع المزدحمة ... وكان «أحمد» يفكر في أنه لو كان معهما سلاح لاستطاع اصطياد السيارة ... ولكن السيارة التي كانت من طراز «مازاراتي»، وهي سيارة سباق سريعة وقوية، كانت تنزلق على الأرض كأنها تطير ... وعندما خرجت السيارتان من حدود المدينة ظهرت سيارات رجال البوليس وهي تُطارد السيارتَين معًا ... والشيء المدهش أن سيارة البوليس أخذت تُطلق النار على سيارة «أحمد» و«عثمان»، وأخذ «أحمد» يُضيء الأنوار ليُنبِّهَ رجال البوليس إلى خطأ ما يفعلونه ... ثم فضَّل ألَّا يُعرِّضَ نفسَه وزميله لمخاطر أكثر، فأخذ يُهدئ من سرعة السيارة حتى أوقفها بجانب الرصيف، وتوقَّفت سيارة البوليس خلفه، ونزل منها ضابط وجندي يحملان الأسلحة ... بينما انطلقت سيارة أخرى خلف السيارة التي كان يركبها القتَلة.

نزل «أحمد» و«عثمان»، وتقدَّم منهما ضابط البوليس على حذر، وهو يضع فوهةَ مدفعِه الرشاش إلى الأمام ... ويشرح له «أحمد» ما حدث ... ولكن الضابط لم يصدِّق ... وقال له «أحمد»: لقد كنتُ أُوقِف سيارتي على موعد على الغداء في مطعم «دون كارلو» عندما فُوجئت بهذه السيارة تُطلق النار على شخص ينزل من سيارةٍ خلفي ... وقد صرعَتْه في الحال ... ووجدتُ من واجبي أن أطاردَ السيارة التي تحمل القتَلة.

الضابط: سوف تأتي معي إلى قسم البوليس.

أحمد: ولكني على موعد غداء في مطعم «دون كارلو»، وسوف أستشهد بأصدقائي هناك.

الضابط: لنذهب إذن إلى المطعم ونرى.

ركبَ الضابط في المقعد الخلفي ومعه مدفعُه الرشاش ... وعادت السيارتان إلى المدينة مرة أخرى ... ووصلت إلى مطعم «دون كارلو»، ونزل الضابط خلف «أحمد» و«عثمان» ... وكان الناس يقفون في حلقات يتحدثون عن الجريمة التي وقعَت في الميدان ... ودخل الثلاثة إلى المطعم، وأخذ «أحمد» ينظر حوله دون أن يجد أثرًا لـ «رشيد» أو «ماشيتو» ...

قال الضابط: أين أصدقاؤك؟

أحمد: إنني لا أرى أحدًا منهم هنا.

الضابط: دَعْك من اللف والدوران وتعالَ معي إلى القسم ...

أحمد: إنها مسألة خطيرة أيها الضابط ... إننا غرباء عن المكان، وكنَّا على موعد مع شخص يُدعَى «ماشيتو».

الضابط: وما هي بقية اسمه؟

أحمد: لا أعرف.

الضابط: هناك ألف شخص يحمل اسم «ماشيتو» في «صقلية»، فمن هو «ماشيتو» الذي تقصده؟

أحمد: إنه رجل متوسط القامة أشيب الشعر ...

ولم يُكمل «أحمد» جملتَه؛ فقد قال الضابط بحزم: دَعْك من هذا الأسلوب ... هيَّا بنا.

وركب الجميع في سيارة البوليس، واتجهت إلى قسم الشرطة في أحد الشوارع الجانبية، وأُودع الصديقان في الحبس، وقال الضابط: سأعود إليكما بعد قليل.

كان في الحبس خمسةُ رجال آخرين ... تبدو عليهم الشراسة ... وأخذوا ينظرون إلى «أحمد» و«عثمان» في أسلوب وقح، وقال أحدهم مشيرًا إلى «عثمان»: من أين جئت أيها الولد؟

لم يردَّ «عثمان» فقام الرجل إليه ورفع يده وهو يقول: عندما أسألك عن شيء فلا بد أن تردَّ.

ولكن قبل أن يُنزل يدَه بالصفعة على وجه «عثمان»، كانت قدمُ «عثمان» قد طارَت في الهواء وأصابَته بضربة موجعة سقط على أثرها وهو يئنُّ.

أخذ الرجال ينظرون إلى «أحمد» و«عثمان»، خاصة عندما وقف أحمد هو الآخر مستعدًّا للنزال …

مضَت ساعة، ثم ظهر الضابط مرة أخرى، واستدعى «أحمد» و«عثمان» للتحقيق ولم يَزِد ما قالاه عمَّا حدث … ولكن الضابط لم يكن مقتنعًا، وقال إن وكيل النيابة المختص سيأتي بعد قليل …

جاء بعضُ مصوِّري الصحف وطلبوا تصويرَ «أحمد» و«عثمان»، ورغم احتجاجهما على التصوير فإن المصورين التقطوا الصور، كما دار الحديث بين الصحفيِّين وبين الضابط المختص …

وعندما حضر وكيل النيابة كان يبدو عليه الإرهاق وضيق الصدر، واستمع إلى الصديقَين … وسألهما: لماذا جئتما إلى هنا؟

أحمد: جئنا طبعًا في سياحة.

النائب: وأين تنزلان؟

أحمد: في فيلا عند الشاطئ الشمالي.

النائب: ومَن الذي استأجر الفيلا؟

أحمد: «ماشيتو».

النائب: أين هو هذا «الماشيتو»؟

أحمد: كما ذكرت لك … كنَّا على موعد معه هذا اليوم لنتناول الطعام، ولكن وقعت هذه الحادثة …

أمر وكيل النيابة بحبس الصديقَين أربعة أيام على ذمة التحقيق، وتفتيش السيارة والفيلا، ثم ترك المكان … وأُعيد الصديقان إلى الحبس …

كان موقفًا عصيبًا … لا مثيل له في حياة الشياطين … لقد تدخَّلوا من أجل العدالة، فإذا بالعدالة تظلمهم … ولكن رغم هذا فإنهم بالتأكيد سيتدخلون لصالح العدالة مهما كان الثمن …

قضيَا ليلةً كئيبة في الحبس … ولكن في صباح اليوم التالي كان في انتظارهما مفاجأة …

جاء رجل الشرطة ونادى عليهما ... وعندما سارَا معه إلى غرفة الضابط ... سأله «أحمد»: هل هذا تحقيق جديد؟

الشرطي: لا ... إن شخصًا مهمًّا جاء لضمان خروجكما، وهو شخص معروف.

أحمد: مَن هو هذا الشخص؟

الشرطي: لا بد أنك تعرفه جيدًا ... لقد جاء من الصباح الباكر بعد أن نشرت الصحف صوركما ... ودفع كفالة ضخمة للإفراج عنكما.

أحمد: وما هو اسمه؟

ولدهشة «أحمد» و«عثمان» قال الرجل: اسمه «سنيور ماشيتو».

المفاجأة!

كانت مفاجأة كاملة لـ «أحمد» و«عثمان» عندما شاهدَا «ماشيتو»؛ فلم يكن هو «ماشيتو» الذي قابلهم في المطار ... إنه رجل محترم في ملابس فاخرة، تبدو عليه الثقة بالنفس ... ويعامله الجميع بكل احترام ...

ابتسم لهما وقال: آسف ... لم أعلم بنبأ القبض عليكما إلَّا من صحف اليوم.

أحمد: لا بأس ... شكرًا لك.

تمت إجراءات الإفراج سريعًا، وخرج الصديقان مع «ماشيتو»، وعندما اجتازوا الميدان إلى مقهى صغير ...

قال «ماشيتو»: إننا في حاجة إلى حديث سريع.

أحمد: نعم ... إن هذا ضروريٌّ جدًّا.

جلسوا حول مائدة، وطلبوا بعض الجاتوه والشاي، وقال «ماشيتو»: ماذا حدث بالضبط؟

روى له «أحمد» كلَّ ما جرى منذ وصولهم مساء أمس ... وكان الرجل يستمع باهتمام شديد. وعندما انتهى «أحمد» من سرْد أحداثِ الليلة السابقة والصباح، بدَا على وجه الرجل أنه انهمك في تفكير عميق ثم قال: إن «ماشيتو» المزيف رجلٌ معروف، وهو أحد رجال عصابة المافيا العالمية، والتي لها فرعٌ قويٌّ في «صقلية»، ويُعَدُّ أبوها الروحي هو الدون «مانويل» ... وهو يملك عدة شركات ... وهي طبعًا واجهات لنشاطه الإجرامي.

أحمد: ولكن كيف حدث أن «ماشيتو» استطاع أن يتقمص شخصيتك بهذه الطريقة؟

ماشيتو: لقد حاولَت المافيا باستمرار أن تتدخَّل في أعمالي، ولكني بالطبع رفضت؛ فأنا رجل أحترم العدالة، وليس من المعقول أن أتعامل مع هذه المنظمة الإجرامية ... وقد لاحظت أنهم فتَّشوا مكتبي مرارًا للبحث عن وثائق أو مستندات عن نشاطي السري في خدمة رقم «صفر» ... ولكني لا أحتفظ بمثل هذه الأشياء الهامة في مكتبي ...

وسكت «ماشيتو» لحظات ثم قال: وأخذوا يراقبون البرقيات والتليفونات التي تصل لي ... وبالصدفة سافرتُ منذ يومين إلى «روما» لعملٍ لي هناك، عندما وصلَت برقية رقم «صفر» لانتظاركم، وقد استطاع «ماشيتو»؛ لأنه يحمل نفس الاسم أن يتسلَّم هذه البرقية، ويعرف بوصولكم ... وقد كانت كلمة السر ضمن الشفرة بالبرقية، واستطاعوا أن يحلُّوا الشفرة ... وهكذا استقبلكم.

أحمد: وشركة «ترانزأوشن» لماذا أثارت دهشة «ماشيتو» المزيف؟

ماشيتو: لأن هذه الشركة هي إحدى الواجهات التي يختفي خلفها «دون مانويل» ... وهي شركة نقل سيئة السمعة، لا تعمل إلَّا في البضاعة المهربة، ولكن البوليس حتى الآن لم يستطع أن يكشف نشاطها غير القانوني.

عثمان: من المهم الآن أن نعرف ماذا فعل «رشيد»؟

أحمد: سنذهب فورًا إلى الفيلا؛ فربما يكون قد عاد.

ماشيتو: سأذهب إلى مكتبي، وهذه هي أرقام التليفونات الخاصة بمكتبي ومنزلي؛ فإذا تحدَّث أحدٌ منكم، فلنتحدث عن البضاعة أيضًا، ففي الأغلب أنهم يراقبون التليفونات.

أحمد: وأين هي شركة «ترانزأوشن»؟

ماشيتو: إن لها مكتبًا صغيرًا هنا، ولكن مركز النقل بالسيارات والبضائع يقع عند خليج «تورمينا».

أحمد: إن مهمَّتَنا عاجلةٌ جدًّا يا سنيور «ماشيتو» ... إننا نريد أن نحصل على الفيلم الذي التقطوه للمقر السري.

ماشيتو: سأفعل ما بوسعي ... وأنا أعرف أهمية هذا الفيلم بالنسبة لكم، ثم مدَّ يدَه تحت المائدة وأعطى «أحمد» مسدسًا.

انصرف «ماشيتو» وقفز «أحمد» و«عثمان» في السيارة وانطلقَا إلى الفيلا ... كان الطريق مزدحمًا داخل المدينة، ولكنهم خرجوا إلى الطريق الرئيسي، وأخذ «أحمد» يزيد من سرعة السيارة تدريجيًّا، ولاحظ على الفور أن هناك سيارة تتبعه ...

قال لـ «عثمان»: هناك سيارة خلفنا؟

عثمان: لقد لاحظتُ ذلك، إنها «فيراري» صفراء بها ثلاثة رجال.

أحمد: ما رأيك؟

عثمان: نتَّجه إلى الفيلا.

أحمد: لقد أعطاني «ماشيتو» مسدسًا من تحت المائدة أثناء تناول الشاي.

عثمان: لقد لاحظتُ حركةَ يده.

وصلَا إلى الفيلا ... كان الصمت يخيِّم عليها ... وأسرعَا إلى الداخل، وأخذَا يناديان على «رشيد» ولكن لم يكن هناك أثرٌ له.

كان «أحمد» قد سحب شريط التسجيل من السيارة ثم من الفيلا، فأخذَا يتحدثان بحريَّة، ثم أزاح «أحمد» ستارة النافذة قليلًا، وشاهد أحد الرجال يتسلل خلال حديقة الفيلا ... وأخرج مسدسه ثم ركَّز تفكيره تمامًا وظل يتابع الرجل وهو يتنقل بين الشجيرات حتى أصبح قريبًا من النافذة، وفتح «عثمان» النافذة بسرعة، وأطلق «أحمد» النار ... وسقط الرجل وقفز «عثمان» من النافذة، واستولى على المسدس الضخم الذي كان يحمله الرجل ... ثم أخذ يجري بين الشجيرات حتى وصل قرب السيارة الصفراء، وأطلق ثلاث رصاصات أصابت إطارات السيارة، وقفز الرجلان منها مسرعَين، وأخذَا يُطلقان النار في اتجاهه، ولكن «أحمد» كان قد خرج من الفيلا، فأطلق النار على أحد الرجلين محدِّدًا ساقَه حتى يظلَّ حيًّا ...

سقط الرجلان، وأسرع «أحمد» إلى الرجل الذي أُصيب في ساقه، وكان قد سقط في حفرة، وأخذ يتأوَّه ... وكان مسدسه قد سقط منه، فاستولى عليه «أحمد» ووضعه في حزامه، ثم ساعد الرجل على الخروج من الحفرة ... ثم جرَّه إلى الخارج ... وساعده على السير حتى وصلَا الفيلا؛ حيث أجلسه على كرسي وقام هو و«عثمان» بإسعافه.

تأثَّر الرجل كثيرًا بما فعله الصديقان وقال: إنكما لستما من المحترفين.

أحمد: إننا نعمل من أجل العدالة.

الرجل: اسمي «نورسو» وهذه أول مهمة أقوم بها لحساب العصابة ... لقد كنت عاملًا في مصنع سردين، ولكني فقدتُ عملي واستطاعَت العصابة تجنيدي.

أحمد: هل تعرف أين صديقنا الشاب؟

الرجل: إنني لا أعرف إلَّا أننا راقبنا مطعمًا هذا الصباح، وكانت مهمتي مع مجموعة من الزملاء أن ندخل عليكم بعد أن يخرج «ماشيتو»، ونطلب أن تأتوا معنا لمقابلة صاحب شركة «ترانزأوشن» ...

أحمد: إذن لقد اختطفوه بينما كنَّا نطارد القتَلة.

الرجل: نعم ... ثم خرج «ماشيتو» وحده ولم يخرج الشاب الثالث الذي كان معكم من المطعم.

أحمد: إننا لن نطلب منك أن تنضمَّ إلينا، ولكن إذا فعلت، فسوف نُلحقك بعمل أفضل بكثير من عملك الحالي.

الهجوم!

قام «أحمد» بعمل كوب من شاي للرجل الجريح، فبدَا شديدَ الامتنان ... وقال: لقد كان في إمكانك قتلي.

أحمد: إننا لا نحب القتل، ولا نُمارسه إلَّا دفاعًا عن النفس.

نورسو: صدِّقني إنني آسف لأن انضممتُ إلى هؤلاء القتلة، ولحسن الحظ لم أرتكب جريمة واحدة ... لقد كانت أولَ مهمة لي هذا الصباح، ولم أفعل شيئًا.

أحمد: لقد وعدتُك بعمل مناسب إذا قلت لنا أين نعثر على صديقنا الشاب بأسرع ما يمكن.

نورسو: إنني أعرف أنهم يحتفظون بأسرارهم في سرداب في أرض قرب بركان «أثينا»؛ حيث لا يستطيع أحدٌ الاقتراب، فهذا البركان كما تعلم شديد النشاط.

أحمد: هل بركان «أثينا» قريب من خليج «تورمينا»؟

نورسو: بالضبط.

أحمد: وكيف يمكن الوصول إليه؟

نورسو: من جهة البحر ... ليلًا.

أحمد: إذن هل يمكن تدبير طريقة للذهاب؟

نورسو: نعم، إن لي قريبًا عنده قاربٌ ممتاز، وهو شابٌّ طيبٌ يعمل في صيد السمك.

أحمد: هل تستطيع الاتصال به؟

تدخَّل «عثمان» قائلًا: لا تنسَ أن التليفون مراقب.

أحمد: سنحمل صديقنا «نورسو» إلى المدينة، ثم نحدد موعد اللقاء.

نورسو: ولكن العصابة ستبحث عني.

أحمد: إنهم في انتظار عودة الثلاثة؛ فإذا تأخرتم فسوف يبحثون عنكم هنا، وليس من المستبعد أن يصلوا في أية لحظة، هيَّا بنا.

عثمان: وأين سنذهب نحن؟

أحمد: سنذهب مع «نورسو»، ولكن المهم أن نجدَ طريقًا لا يمرُّ بالمدينة حتى لا يرانا أحد.

نورسو: إن ذلك ممكن؛ فإنني أعرف طريقًا ساحليًّا مهجورًا يمكن أن يقودنا إلى مكان صديقي.

عثمان: إن علينا الاتصال بـ «ماشيتو».

أحمد: سنتصل به من أيِّ مكان آخر، إن العصابة تتوقع الآن أن نكون في عداد الموتى ... وأي اتصال سوف يُنبههم إلى أننا ما زلنا أحياء.

ساعد «أحمد» و«عثمان» الرجلَ المصاب حتى ركب في السيارة، ثم انطلقوا بها على الطريق الساحلي ... كانت الساعة قد تجاوزَت الخامسة مساءً، وبدأت خيوط المساء تُحيط بالبحر وأخذت الشمسُ طريقَها إلى المياه.

ساروا طويلًا ... ومضَت ساعة «ونورسو» يحدِّد الاتجاه حتى وصلَا إلى تلٍّ مرتفع جدًّا عن البحر ... وقال «نورسو»: سنترك السيارة هنا وننزل.

غادر الجميع السيارة بينما قام الصديقان بمساعدة «نورسو» على نزول التل، حتى وصلوا إلى كوخ تُحيط به حديقة صغيرة، وشاهدوا بضعةَ أطفال يَجْرون هنا وهناك، وعندما شاهدوا «نورسو» صاحوا جميعًا ... عم «نورسو» ... عم «نورسو»!

وظهر شابٌّ في الثلاثين من عمره مفتولُ العضلات، وقال «نورسو»: إنه «بنيتو» ابن عمي صاحب القارب.

رحَّبَت أسرة «بنيتو» بالأصدقاء، وشرح «نورسو» لقريبه ما يريدونه، ووافق «بنيتو» متحمِّسًا للقيام بالمهمة ... وقام «أحمد» إلى التليفون، واتصل بـ «ماشيتو» الذي استمع إلى ما حدث، ثم قال: لقد وردَت لي برقيةٌ من رقم «صفر» بالشفرة، يسأل فيها عن أخباركم وعن الطائرة ... وهو يطلب أن نتحرك سريعًا للحصول على الفيلم الذي صوَّرته الطائرة للمقرِّ السري ... وقد قمت بتحريات واسعة، وعلمت أن الطائرة الهنكل التابعة لشركة «ترانزأوشن» قد نزلت منذ ساعة واحدة في خليج «تورمينا».

فهي طائرة مائية ... وقد علمت أنها اضطرت للنزول أمس عند شاطئ جزيرة «مالطة» لإصابتها بعطب، وقد ظلَّت تحت الإصلاح هناك حتى اليوم ... ومعنى ذلك أن

الفيلم في طريقه للتحميض الآن ... أو بعد فترة قصيرة ... إن الساعة الآن الخامسة ... وسيهبط الظلام بعد ساعة ... ونريد الهجوم بعد هبوط الظلام مباشرة.

أحمد: إننا على مسافة ساعتين تقريبًا من خليج «تورمينا»، وفي إمكاننا الوصول هناك حوالي الساعة السابعة.

ماشيتو: هذا يناسبني جدًّا ... سوف أُحضر معي أسلحة ثقيلة ... مدافع رشاشة ... قنابل يدوية وغيرها ...

أحمد: هل في استطاعتنا الاستعانة بشابَّين تعرَّفنا عليهما هنا ... أحدهما يُدعَى «نورسو» والثاني «بنيتو» ... الأول هو الذي حدَّد لنا خليج «تورمينا» كمقر لشركة «ترانزأوشن»، وما دامت معلوماتك قد تطابقت مع معلوماته ... فهو صادق.

ماشيتو: لا بأس.

أحمد: إذن موعدنا السابعة.

ماشيتو: قل لـ «نورسو» فهو لا بد يعرف المكان، إننا سنلتقي عند مغارة «القديس» واستخدموا السيارة أفضل.

أحمد: اتفقنا.

ركب «أحمد» و«عثمان» في مقدمة السيارة، وركبَا «بنيتو» و«نورسو» في المقعد الخلفي وانطلقت السيارة. ثم توقَّفوا دقائق عند أقرب محطة بنزين، ثم أخذوا طريق الشاطئ بعد أن أخبر «أحمد» «نورسو» بالمكان الذاهبين إليه.

قال «نورسو»: أعرف هذه المغارة جيدًا ... إن مدخلها يصلح للاختفاء عن العيون. ظلَّت السيارة منطلقة بينما المساء يهبط على البحر ثم تُضاء الأنوار تدريجيًّا ... وفي السابعة إلَّا عشر دقائق وصلوا إلى قرب المكان، وأخذ «نورسو» يشرح لـ «أحمد» طريق الوصول إلى المغارة ... وهناك وجدوا سيارة سوداء، وشاهدوا «ماشيتو» يقف بجوارها.

قال «ماشيتو»: إن البركان كما ترون ... بركان «أثينا»، وقد يقذف بحممِه في أية لحظة ... ومقر الشركة تحت الخليج مباشرة ... والطائرة تقف عند الشاطئ هناك ... إذا حدث وانفجر البركان ... استخدموا الطائرة.

وزَّع «ماشيتو» الأسلحة على الشبان الأربعة ثم قال: سنهاجم من جانبَين ... إن عدد الحراس قليل ... ولكن من الأفضل اتخاذ الحذر.

انقسموا إلى فريقين، «ماشيتو» و«أحمد»، و«عثمان» مع «بنيتو» و«نورسو» ...

كان مقرُّ شركة «ترانزأوشن» يُشبه معسكرًا ممتدًّا ... تراكمت فيه أنواعٌ من سيارات النقل وطائرات الهليوكبتر وعددٌ من المباني القديمة ...

لاحظ «عثمان» أن أحدهما معزول تمامًا عن باقي المباني، وتوقَّع أن يكون مقرَّ رئاسة الشركة فقرَّر الاتجاه إليه.

سار «عثمان» محاذرًا وخلفه «نورسو» و«بنيتو» ... وكان النزول شاقًّا من فوق التل إلى مقر الشركة ... وأخذت الأحجار تتطاير ساقطةً إلى أسفل ... وتأكد «عثمان» أن الحراس سوف يلفت انتباههم هذا ... وهكذا قرر الهجوم بسرعة قبل أن يستعدَّ الحراس ... وكان نصيب أول حارس كرة «عثمان» الجهنمية التي انطلقَت من يده إلى رأس الحارس فهوَى إلى الأرض مباشرة، ولكن لم يكن هناك حارس غيره فتقدموا إلى مقر الشركة.

الفيلم!

اقترب «عثمان» من نافذة مغلقة، وأخرج مجموعةَ أدواته الدقيقة وأعملها في مصراع النافذة الذي انفتح ... واستطاع من خلال الزجاج أن يرى ضوءًا متوهجًا يقع على شاشة صغيرة وُضعت على جدار الغرفة المقابلة ... ولدهشته البالغة، شاهد شيئًا كاد أن يجمِّد الدمَ في عروقه ... فقد شاهد فيلمًا عن مقرٍّ الشياطين السريِّ ... كان شريطًا سينمائيًّا ... ورغم أنه لم يكن شديدَ الوضوح ... إلَّا أن المباني الرئيسية في المقر السري كانت واضحة ... وأهمُّها أبراج الاستطلاع والرادار وحظائر السيارات وغيرها من المنشآت التي تقع تحت الصخور، ولكن تبدو ملامحها من فوق.

وسمع تعليقات، وأصوات ضرب ... وصرخات عالية ... وأخذ «عثمان» يستدير لمحاولة رؤية مَن بالغرفة ... ولكن كان ذلك مستحيلًا لأن الظلام كان يسود الغرفة ...

عرَف أنهم قاموا بتحميض الفيلم وهم يشاهدونه الآن، وأن كل شخص في هذه الغرفة يجب أن يتمَّ القضاء عليه حتى لا يتحدَّثَ بما شاهد ...

كان «نورسو» و«بنيتو» يقفان خلفه، وفكَّر «عثمان» في خطة رائعة، فقال لـ «نورسو»: اسمع يا «نورسو»، إن العصابة لا تعرف حتى الآن أنك انضممت إلينا ... وأريدك الآن أن تدخل هذه الغرفة، إن أحدًا لن يمنعك؛ لأنهم بالطبع ينتظرون رؤيتك ... كل ما أريده أن تفتح باب الغرفة لنا ... سأدخل بعدك أنا و«بنيتو» ... إنني لا أعرف أين «أحمد» و«ماشيتو» ... فعلينا أن نتصرف وحدنا ... كان «نورسو» شجاعًا حقًّا؛ لأنه قَبِل هذا العمل على الفور، ودار حول المعسكر وخلفه بأمتار سار «عثمان» و«بنيتو»، وشاهداه عندما التقى به أحد الحراس وأخذَا يتحدثان ... بالطبع كان الحارس يعرفه ... وانتهز «عثمان» فرصة انشغال الحارس بالحديث إلى «نورسو» ... واقترب منه ... ثم ضربه بمدفعِه الرشاش فسقط دون أن ينطق بكلمة ... ثم تكرَّر نفس المشهد مع حارس الباب

... وساروا في دهليز طويل مُعتم حتى وصلوا إلى الغرفة التي يُدار فيها الفيلم، ودقَّ «نورسو» البابَ بطريقة خاصة، وبعد لحظات فُتح الباب ودخل «نورسو» ودون انتظار لحظة واحدة اقتحم «عثمان» و«بنيتو» الباب ... وشاهد «عثمان» زميله «رشيد» ... كان مقيدًا إلى مقعد وقد بدَت عليه آثارُ الضرب الشديد، وكان في الغرفة ثلاثة رجال آخرين ... كان يبدو على أحدهم أنه هو الرئيس ... فقد كان يجلس على كرسي في مواجهة شاشة العرض مباشرة ... وكان الآخران يقفان بجوار كرسي «رشيد»، ومن الواضح أنهم كانوا يسألونه عمَّا يدور في الفيلم والمشاهد التي فيه.

أخرج الرجل الذي يقف على يمين «عثمان» مسدسَه بسرعة خارقة ... كاد أن يصيب «عثمان» بطلقة لولا أن «نورسو» كان أسرعَ منه فعالجه برصاصة أردَته في الحال وصاح الزعيم: «نورسو» ماذا فعلت؟

نورسو: فعلتُ ما تُمليه العدالةُ عليَّ أيها «الدون مانويل».

الدون مانويل: سوف أمزِّقُك ... سوف أحطِّمُك.

قال «عثمان»: إنك لن تمزِّقَ أحدًا بعد الآن أيها الزعيم، لقد انتهت القصة ... ثم التفت إلى «بنيتو» وقال: فُكَّ رباط صديقي يا «بنيتو».

قام «بنيتو» بفكِّ وثاق «رشيد» الذي لم يكَدْ يرفع ذراعَيه حتى التفتَ إلى الحارس الذي يقف بجواره ... وضربَه ضربةً قاسية فترنَّح على أثرها حتى عالجَه بضربة أخرى أسقطَته أرضًا ...

كان واضحًا على وجه «رشيد» وعلى ذراعَيه أثرُ التعذيب الذي تعرَّض له ... وكان «الدون مانويل» ينظر إلى ما حدث حوله في ذهول ... ولكن عينه كانت على الباب المفتوح ...

وعندما انشغل «عثمان» في فكِّ الفيلم من آلة العرض ووضعه في جيبه، قفز «الدون» قفزة هائلة ... وانطلق من الباب كالسهم وتبعَته عشراتُ الطلقات من «بنيتو» ... ولكنه دخل الغرفة المقابلة، وبعد لحظات كانت المدافع الرشاشة تنطلق في كل اتجاه ...

قال «عثمان»: هيَّا نخرج من النافذة ...

أسرع الجميع إلى النافذة وقفزوا منها ... وأخرج «عثمان» قنبلة يدوية ألقاها على الغرفة ثم قنبلة أخرى ألقاها على الغرفة التي دخلها «الدون»، وصاح: لقد حصلنا على الفيلم وهذا هو المهم ... حسابنا مع «الدون» فيما بعد ...

وأسرع الجميع إلى الجانب الآخر حيث كان يجب أن يوجد «أحمد» و«ماشيتو»، ولكنهم لم يجدوا أحدًا ... ففي تلك الأثناء كانت تدور معركة عنيفة عند طرف المعسكر الآخر.

كان «أحمد» قد لمح «ماشيتو» المزيف يسير مع شخص آخر وهما يضحكان ... وسَمِعه يتحدث عن مغامرته قائلًا: لقد شربوا المقلب ... وظنوا أنني «ماشيتو» المحامي، وقد كنَّا نشك فيه ... وراقبناه حتى سافر، وذهبت واستوليت على جميع البرقيات التي وصلَته، وعرفت بخبر وصول هؤلاء الشبان ... إن الفيلم الذي التقطَته طائرتُنا يساوي الملايين.

فقد اتفقت عصابة سادة العالم مع «دون مانويل» على التقاط هذا الفيلم مقابلَ أيِّ مبلغ نطلبه ... وقد استطعنا تحديدَ المكان أولًا بقياس أطوال الموجات اللاسلكية التي تَصِل إلى «ماشيتو»، وقمنا بعمل عدة تجارب على مناطق قريبة من المكان حتى حددناه ... ثم جهزنا إحدى طائراتنا بكاميرات تصوير استطاعَت أن تحصل على الفيلم الثمين ... إن الزعيم يتفرج عليه الآن ويحصل على البيانات اللازمة من أحد الشبان.

قال «أحمد» في الظلام: إنه لن يحصل على أية معلومات بعد الآن.

ثم قفز «أحمد» عليه، وقفز «ماشيتو» على الرجل الآخر وقامت معركة عنيفة بين الرجال الأربعة ... وعندما انتهت، كان «ماشيتو» والرجل الآخر يسقطان من فوق التل المرتفع إلى البحر ...

وعندما استدار «أحمد» و«ماشيتو» للاتجاه نحو معسكر الشركة، كان «عثمان» و«نورسو» و«بنيتو» يبحثون عنهم في الظلام ...

كانت القنابل التي فجَّرها «عثمان» قد لفتت أنظار أحمد و«ماشيتو» فاتَّجهَا إليها ... وفي منتصف الطريق التقَوا جميعًا ... وصاح «عثمان»: لقد حصلتُ على الفيلم ... إنه في جيبي.

أحمد: وهل شاهده أحد؟

عثمان: لقد قضينا على اثنين، ولكن الثالث «دون مانويل» هرب.

أحمد: يجب أن نصلَ إليه.

واتجهوا جميعًا إلى المعسكر ...

الجحيم!

فجأةً سَمِع الجميعُ في صمتِ الليل أصواتَ سيارات قادمة ... كانت السيارات تسير بسرعة مجنونة وقد أضاءَت كشَّافاتها ...

قال «بنيتو»: لقد استدعوا بقية أفراد العصابة من كل مكان ... إن عددهم يزيد على خمسين رجلًا من أشرس رجال العصابات.

نورسو: أقترح أن نُسرعَ بالفرار قبل أن نقع في أيديهم ... فمهما كانت إمكانياتنا فهي لا تتناسب معهم.

ساد الصمت قليلًا وقال «أحمد»: آسف ... إن أيَّ شخص شاهد هذا الفيلم الخاص بالمقر لا يجب أن يبقى حيًّا ... إن تعليمات رقم «صفر» محددة.

عثمان: الحمد لله أننا حصلنا على الفيلم قبل أن يطبعوا منه نُسَخًا أخرى.

أحمد: هذا عظيم يا «عثمان»، ولكن «دون مانويل» يجب أن يموت.

بنيتو: ولكن صديقكم في حالة لا تسمح له بالاشتراك في المعركة ...

كان يقصد «رشيد»، ولكن «رشيد» قال: إنها بعض الإصابات السطحية ... سوف أشترك معكم.

ماشيتو: إن الحل الوحيد هو نسفُ المكانِ كلِّه بمن فيه ... ولكن ليس عندنا ما يكفي من القنابل.

كانت السيارات تتدفق على مقرِّ الشركة ... وكانت أضواؤها تُبدِّد ظلام الليل، وفجأة قال «أحمد»: عندي فكرة.

التفت الجميع إليه، فقال: في هذا المكان أكثر من ثلاثين سيارة من أنواع مختلفة ... وستقوم هذه السيارات بالهجوم على مقر الشركة من كل اتجاه.

ماشيتو: كيف ذلك؟

أحمد: إننا ستة ... والمطلوب من كلٍّ واحد منَّا أن يُشعلَ النارَ في إحدى السيارات ... ثم يقودها بسرعة حتى تقتحمَ مبانيَ الشركة، وستنفجر وتُشعل النيران ...

المهم أن يقفز كلٌّ واحد منَّا من السيارة قبل أن يَصِل إلى نقطة الارتطام ... ثم يعود لقيادة سيارة أخرى ... وبعدها نتجمع عند المغارة.

وافق الجميع في حماس شديد ... واتجهوا جميعًا إلى حيث توقَّفَت سيارات النقل، وسيارات أفراد العصابة الذين تركوها ودخلوا مقر الشركة ... اختاروا أولًا السيارات الكبيرة ... وكان بعضها محمَّلًا ببنزين الطائرات السريع الاشتعال ...

اختار الخمسةُ كلٌّ منهم سيارة، ثم قام بإشعال النار فيها بسكب بعض البنزين من الخزان، ثم وبسرعة قفز إليها وقادها ... أصبحت السيارات كأنها قذائفُ موجَّهةٌ ... وفي نفس الوقت ثار بركان «أثينا» المخيف، ولمَعَت أضواءُ النيران في الأفق، فلم تلفت السيارات المشتعلة انتباهَ أفراد العصابة ... وقفز الخمسة من السيارات المشتعلة قبل الارتطام مباشرة، ثم عادوا إلى السيارات الباقية ... وأخذت السيارات المشتعلة تحول الليل إلى نهار، وأخذت أصوات الانفجارات تضجُّ كأنها غارة جوية ...

أخذ رجال العصابة يضربون بمدافعهم الرشاشة في كل اتجاه ... واتجه بعضُهم ناحية الساحل هربًا من الجحيم ... ولكن ثورة البركان كانت تمتدُّ إليهم ...

لقد كانت خطةً ناجحة ... ولكن في وسطِ كلِّ هذا كان «أحمد» يفكِّر في «مانويل» وأخذ يتصور لو كان مكانه ماذا يفعل؟

كان الحل الوحيد هو ركوب الطائرة ... وقال «أحمد» للمجموعة ... بعد أن اجتمعوا في المغارة ... سنتجه الآن إلى الشاطئ.

بنيتو: لماذا؟

أحمد: إنني أتصور أن «الدون مانويل» قد يتمكَّن من الهرب بالطائرة.

ركبوا السيارتَين، واتجهوا مسرعين إلى الشاطئ ... وأخذت كشافات السيارتين تكشف الشاطئ حيث كانت تربض الطائرة ... كان الصمت مخيفًا، ولم يكن هناك أحد ... ولكن انتظارهم لم يَطُل ... فقد شاهدوا سيارة تأتي مسرعة ... ثم تتوقف عند الشاطئ، وشاهدوا ثلاثة رجال يقفزون إلى قارب صغير ويتجهون ناحية الطائرة الرابضة في المياه ...

أسرع «أحمد» و«عثمان» و«ماشيتو» بعد أن طلب «أحمد» من «بنيتو» و«نورسو» أن ينتظرَا لحمايتهما من أيِّ هجوم مفاجئ ...

عندما وصل الثلاثة إلى الشاطئ، كان الزورق يقترب من الطائرة، وأطلق «أحمد» دفعةً من مدفعِه الرشاش على القارب، وتناثرَت المياه حوله ...

وشاهد رجلًا يُلقي بنفسه في الماء ...

قال «عثمان»: إنه «دون مانويل» ... وأخذت الرصاصات تُحاصر «دون مانويل» ولكنه كان رجلًا بارعًا ... فقد غطس تحت المياه حتى وصل إلى الطائرة، واستطاع أن يقفز إليها، ثم يُدير المحركات ... وقفز «أحمد» و«عثمان» و«ماشيتو» إلى الماء ... وعندما كانت الطائرة تحلِّق فوقهم اندفعت ثلاثة رشاشات في اتجاه الطائرة، وسرعان ما اشتعلت فيها النيران، ثم ارتفعت إلى فوق وخلفها سحاب من الدخان، ثم انحدرت بسرعة وهوَت في المياه المظلمة.

في صباح اليوم التالي تلقَّى الشياطين من رقم «صفر» البرقية التالية:

«علمت من «ماشيتو» ما قمتم به من عمل رائع، أشكركم كثيرًا ... إن هذه المغامرة ذات طابع هام ... لقد كدنا نُصبح هدفًا لسادة العالم، ولكن الله سلَّم ...

أرجو أن تدفعوا مكافأة ضخمة لكلٍّ من «بنيتو» و«نورسو»، وقد طلبت من «ماشيتو» أن يُلحقَهم بالعمل معنا ... كلٌّ من في «ش. ك. س» يدعون لكم ... وفي انتظار تقريركم النهائي.»

«رقم صفر»

هنـــداوي